الصيد

تنادَوْا الى الحقل يوم الحصاد ، وقد ماج بالسنبل المثقلِ ،
وكلُّ فتىً مُشرِعٌ عزمةً أحدَّ وأمضى من المنجلِ
وراحوا يجزّون ما رنحتْ رياحُ الصبا ، أمس ، والشمألِ
وكانت أمانيهم كلها تحوم على حزَم السنبلِ
وكانت أغانيهم لا تني تردد بشرى الغد المقبلِ
ومن حيث مالت ، وراء الحصيد ، شمسُ الاصيلة نحو المغيبْ
أطلَّ على القوم شيخٌ كبيرٌ الى حقلهم قذفته الدروب
وحيّاهمو ، فأحاطوا به ، وخفّوا يُحيون هذا الغريب
فراح يبارك ما يحزمون ، وهو يمسُّ النجيل الرطيب ،
وتمتم مستأذناً بالمبيت لديهم ، فآواه كوخ قريب ،

* * *

ولمّا اعتلى الليلُ عرش السماء وكلّله البدر والانجمُ
تهادَوْا إلى باحةٍ يسمرون ، وليلهمو لغدٍ يبسمُ
وخفّوا الى الرقص حول اللظى .. وغناهمو ساجعٌ مغرمُ
وفي قلب كل فتىً حالمٍ فتاةٌ به قلبها يحلمُ ...
وأقبل ضيفهمُو فانتهوا إليه ، وكلٌّ له مكرمُ ،
وقالوا : الى ساحة الرقص هيّا وجدّدْ شبابَك يا صاحبُ
فجاذبهم طَرَفاً لحظةً ، وشدّت على طرفٍ كاعبُ
تقول له : في ليالي الحصاد يُسْكر بالمرح الواهبُ ،
ودارت به ، ولها ضحكةٌ يرددها السامرُ الصاخبُ ،
ودار بها ، وله ضحكةٌ لها يرعش الذقن والشاربُ ،

وغيّبه الكوخ حيناً ، وعاد يحمل زقّاً ، وهم في عجبْ ،
وقال لهم : ها هنا خمرة تلوح فتكسب لون الذهب
تغار النجوم ... نجوم السماء .. إذا خمرتي قذفت بالحبب
ومال الى حيث كان الحصيد فصبّ لهم أكؤساً ثم صبّ
وراحوا يعبون من زقّه كؤوس السلافة حتى نضب
وخفّتْ بفعل السلاف الرؤوسُ وانطلقت بالهوى ألْسُنُ
ومال فتىً منهمو آثرته قلوب الكواعب والاعينُ
وراح لجارته بالهوى يُسرُّ وآونةً يعلنُ
ورنح جارَته بَوْحُهُ ، وكانت تظن ولا توقنُ ،
ودقّ بأضلاعها خافقٌ له عابدٌ وبه مؤمن ..

* * *

وعند الصباح انجلتْ سكرةٌ ولم يبق من أمس إلاّ خمارْ
وقام الرجال الى حقلهم ثقالاً ، وفي كل رأس دوار ،

ولكنهم أجمعوا انّ مـــا تحسّوهُ أفضل خمرٍ تدار
وأنسوا ، وهم يحملون الحصيد ، كل حديثٍ مع الليل دار
وراحوا فباعوا الحصيد وعادوا ، وأقبل ليلٌ ، وولى نهار

وطاف على المتعبين الكرى ، فلا سامرٌ في الذجى أو سَمرْ
ولم يبق في الليل من ساهرين غير النجوم وغـــير القمر
وغير فتاةٍ جفاها الرقاد وواصلهـــا وجدها والسهر
تردّدُ في سمعها همسةٌ يحسّ لهـــا جسمها بالحدر
تحوم على باحةٍ أقفرت ولم يبق من أمس فيهـــا أثر
تلمّسُ مجلسَ معشوقهـــا ، كما يلمس الوثنيّ الصنم ،
تحدّقُ شاخصةً في النجوم ، وتمعن شـــاردةً في حلُم
يجوس خفيّـــاً بوجدانها ويظهر في ثغرها المبتسم
على فمها اسم فتـــاها الحبيب ، وفي عينها طيفه المرتسم ،
وفي القلب ، هـذا الصغير الصغير ، آمال أيامهـا تزدحم

* * *

وعارضها في غدٍ من تُحبّ فسلّمَ ، غير حَفيٍّ ، وراحْ
وما كان ثمّةَ غير السلام ، كما كان يفعل كل صباح
وكذّبتِ النفسَ في امره ، وقال لها حبها ، لا براح ...
فظلت على دربه في الاياب ، فما كان غير الذي في الرواح
وحزّ بأعماقها هاجسٌ من الشك يثخن فيهـــا الجراح
ومرت بها فكرةٌ جمّدت على محجريها الدموع الثقالْ
« الى الشيخ .. ذاك الغريب الذي ألمّ بنا ليلةً كالخيال
فخمرتُه انطقت بالهوى ، عشيّةَ عيد الحصاد ، الرجال »
وطارت الى الشيخ تزجي الخطى وتطوي السهول وترقى التلال
وراحت تسائلُ عنه الرعاة حتى هداهـــا اليه السؤال

* * *

— ابي .. يا ابي .. نبّني يا ابي ، وقل ليَ ماذا سقيت الفتى ؟!
— هي الخمر ..
— لا يا ابي .. إنه يعاقر في الامسيات الطلى
وكم مرَّ بي ، وهو في سكرةٍ ، ولكنه لم يبح بالهوى
ابي .. يا ابي .. نبّني يا ابي ، وقل لي ماذا سقيتَ الفتى ؟!
— هي الخمر بنتي .. قومي معي ، فعنديَ منها زِقاقٌ هنا
خذي ذلك الزقّ وامضي به
— سأسقيه .. يا لفؤادي السعيدْ
سأسمع في الليل همس الهوى .. ساسمعُ ..
— ذلك شيءٌ بعيد ..
— بعيدٌ !! وكيف .. وبين يدي إكسيرك العبقري النريد ؟ ..
— خذي الزقّ يا طفلتي .. خبّئيه .. حتى يحل الحصاد الجديد
فما الخمرُ اوحت له بالهوى ، ولكنّها .. كومةٌ من حصيد ..

بغداد **خالد الشواف**